جامعة الشهيد حمة لخضر ـ الوادي
معهد العلوم الإسلامية

الملتقى الدولي الأول

الوسطية في الغرب الإسلامي

وأثرها في نشر الإسلام في إفريقيا وأوروبا

الأحد والإثنين | 14-15 ربيع الأول 1439 هـ
03-04 ديسمبر 2017 م

المحور الأول:

في مفهوم الوسطية وتأصيلاتها الشّرعية من الكتاب والسّنة وبيان أهمّ مقاصدها وخصائصها ومعاييرها

جامعة الشهيد حمة لخضر - الوادي
معهد العلوم الإسلامية
بالتعاون مع
مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
ينظم الملتقى الدولي الأول
الوسطية في الغرب الإسلامي
وأثرها في نشر الإسلام في إفريقيا وأوروبا
14-15 ربيع الأول 1439 هـ
03-04 ديسمبر 2017 م
الأحد والإثنين
قاعة المحاضرات الكبرى الأستاذ أبو القاسم سعد الله
القطب الجامعي حي الشط - الوادي

الوسطية تأصيلا وضوابطا

بقلم
د. مصطفى ياحي
معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية. المركز الجامعي نور البشير، البيض
mosyahi@gmail.com

ملخص البحث

أرست الشريعة الإسلامية بنصوص الوحي قيم كبرى حُفظت بها الأمة الإسلامية في هذه الحياة من جهة، وكانت هذه القيم بمثابة المبادئ التي تحقق التعايش السلمي الإنساني من جهة ثانية، ومن خلالها أيضا كانت هذه القيم بمثابة المنهج الحضاري الذي يجمع بين التنوع البشري، ويحافظ على صيرورة الحياة، التي من أجلها خلقت الإنسانية، ولهذا كان الالتزام بهذا بالمنهج الشرعي كفيلا بأن ينشأ حياة إنسانية كريمة سعيدة، وحضارة إسلامية واعدة، ومن هذه القيم الكبرى قيمة الوسطية.

والوسطية قيمة ومبدأ أمر القرآن بالالتزام به، وبينته السنة النبوية، وحققه السلف من الصحابة ومن بعدهم ويكفي أنه الأمة الإسلامية مدحت بالوسطية فقال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: 143] المرتكز الحقيقي للحفاظ على الحضارة الإسلامية دون غلو أو إفراط من جهة، ومن جهة أن هذه القيم هي الكفيلة التواصل بين الأمم والأوطان. ولإجلاء هذا الموضوع وبيان قيمة الوسطية كانت هذه الورقة تحت عنوان: الوسطية تأصيلا وضوابطا؛ حيث قسمت الورقة إلى ثلاثة مباحث؛ تناول الأول مدلول الوسطية، والثاني تأصيلها الشرعي، وعالج الثالث ضوابط فقه الوسطية.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه وبعد:

فإن من أهم ما يحتاج إليه الفكر الإسلامي في واقعنا المعاصر هو ضبط المفاهيم وتحديد معانيها، حيث كثرت في هذا العصر المفاهيم واضطربت بسبب تناقض المفاهيم الناتجة عن الأفكار والأيديولوجيات، وحتى اللغات تطورت وتنازعها أهلها، فاختلطت المعاني بالمفاهيم، الأمر الذي يجب على الفكر الإسلامي اليوم دراسة هذه المفاهيم دراسة علمية وتقديم رؤية موحدة أو حتى متقاربة للمعاني والمفاهيم والمدلولات وفق رؤية شرعية موثقة بالنصوص الشرعية من القرآن والسنة، وتراث الفكر الإسلامي.

ومن المفاهيم التي تنازعها علماء اللغة وعلماء الفكر بشدة، وتنازعته المصالح كما تنازعته الأهواء،

وأصبحت الحاجة ملحة لبيان حقائقها ومدلولاتها، مفهوم الوسطية؛ ذلك لأنها مفهوم شرعي جاء به الأنبياء، فلا مناص من الوقوف عند حقيقة الوسطية. زيادة على ذلك فإنه اشتدت الحاجة إليه فهما وممارسة ومنهجا أكثر عندما دخلت على الأمة الإسلامية أفكار الغلو والتطرف والتعسير والتشدد، وتبلورت هذه الأفكار الدخيلة في أعمال التكفير والتفجير، وكونت لها جماعات تمارس هذه الأفكار على الأرض، وإن كانت هذه الممارسات ضيقة النطاق إلا أن لها الأثر السلبي في المجتمع الإسلامي، بل وتعداها إلى المجتمع الدولي، وباتت بعض قنواته منبر حرب للمسلمين، وأداة عظمى إلى إلصاق التهم المشينة بالإسلام وأهله.

إن مثل هذه النوازل الواقعة على الأمة الإسلامية تتطلب تضافر مؤسسات الأمة -خاصة الأكاديمية والعلمية - مع علماء الأمة ومفكريها في بذل الجهد لبيان حقيقة الوسطية وطرق الاستفادة منها في تصحيح الفكر الخاطئ الذي ابتليت به الأمة الإسلامية.

وتجاه ما نعانيه من آلام تسارعت مؤسسات الدول الإسلامية في إقامة ملتقيات حول قيمة الوسطية، فكان لمعهد العلوم الإسلامية بجامعة الشهيد حمد لخضر بولاية الوادي الجزائر وبالتعاون مع مخبر إسهامات علماء الجزاء في إثراء العلوم الإسلامية، دوره في المساهمة بملتقى (الوسطية في الغرب الإسلامي)، وكان لها السبق - فيما نعلم- في تناول وعلاج الموضوع من جهةٍ لم يتناولها غيرهم وهي الغرب الإسلامي، وهذا جهد مثمن وعمل يشكران عليه.

وحيث أن الكلام عن الوسطية في الغرب الإسلامي يحتاج إلى مقدمة أساسية هي بمثابة قواعد ومبادئ بل وحتى أرضية يشترك في الغرب الإسلام مع المشرق الإسلامي، وهذه الأرضية تقوم على ثلاثة أركان هي: بيان المفهوم، ثم حجية المفهوم وآخرها ضبط المفهوم، وهذا ما أراد له الباحث في هذه المداخلة بهدف أن تكون هذه الورقة مساهمة في وضع معالم لوحدة الفكر الإسلامي مشرقا ومغربا، وقد رأى الباحث أن تقدم هذه الورق من خلال ثلاثة مباحث وهي:

المقدمة

المبحث الأول: مدلول الوسطية

(1) مدلول الوسطية في المعاجم اللغوية.

(2) مدلول الوسطية المصطلح عليه.

المبحث الثاني: التأصيل الشرعي للوسطية

(1) حجية الوسطية في القرآن الكريم.

(2) حجية الوسطية من السنة النبوية.

(3) آراء الصحابة والسلف من بعدهم.

المبحث الثالث: ضوابط الوسطية

الضابط الأول: إقامة الأركان الكبرى.

الضابط الثاني: الجمع بين الوحي والعقل.

الضابط الثالث: الموازنة بين الظاهر والباطن.

الضابط الرابع: الوقوف عند القطعي والاجتهاد في الظني.

الضابط الخامس: مراعاة التيسير ومباعدة التعسير.

الضابط السادس: المحافظة على الوحدة واحترام الآخر.

الضابط السابع: الإيمان بالإسلام الحق ومسالمة الآخر.

الخاتمة.

النتائج.

التوصيات.

المبحث الأول : مدلول الوسطية

المطلب الأول: الوسطية في اللغة والاصطلاح

الوسطية في اللغة:

الوسطية مشتقة من الوسط، والوسط في اللغة له معان متعددة، من ذلك:

أ-الخيرية والأفضلية والمكانة العالية، جاء في جمهرة اللغة: "وفلان من واسطة قومه، أي من أعيانهم، أُخذ من واسطة القِلادة لأنه يُجعل فيها أنفس الخَرَز. والوسيط من الناس: الخَيِّر منهم. وفُسِّر في التنزيل قوله جلّ وعزّ: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ [القلم: 28]، أي خيرهم، والله أعلم"[1]. وبهذا المعنى كذلك قول الرسول ﷺ: «من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها»، فقالوا: يا رسول الله، أفلا نبشر الناس؟ قال: «إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة - أراه - فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة»[2]؛ فوصف الرسول ﷺ الفردوس والتي أعلى وأفضل درجات الجنة بمعنى يناسبها وهو الوسط، فدل على الوسطية هو رجاء المسلم في حياته وبعد مماته، كما دل على أن الوسطية مشروعية حيث جاءت في سياق المدح.

ب-العدل: جاء في الصحاح: "والوسط من كل شيء: أعدَلَه. قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: 143] أي أعدله[3]. وبه فسره الرسول ﷺ كما جاء في حديث الترمذي: «والوسط: العدل»[4].

---

[1] ابن دريد. أبو بكر محمد بن الحسن(ت321هـ)، كتاب جمهرة اللغة، (دار العلم للملايين، ط1، 1987)، ص838.

[2] جزء من حديث رواه البخاري: البخاري. أبو عبد الله بن محمد بن إسماعيل(ت256هـ)، صحيح البخاري: الجامع الصحيح المسند من حديث رسول ﷺ وأيامه، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، رقم الحديث: 2790، (القاهرة: المكتبة السلفية، ط1، 1400هـ)، ج2، ص303-304.

[3] الجوهري. إسماعيل بن حماد(ت393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (بيروت: دار العلم للملايين، ط4، 1990م)، ج3، ص1167.

واستُدل بهذه الآية أيضا على المعنى الأول للوسطية أعني الخيرية، قال الزجاج: "وفي ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ قولان، قال بعضهم وسطا: عدلا، وقال بعضهم: أخياراً، واللفظان مختلفان والمعنى واحد، لأن العدل خير والخير عدل. وقيل في صفة النبي ﷺ: إنه من أوسط قومه جِنْساً، أي من خيارها، والعرب تصف الفَاضِل النسب بأنه: من أوسط قومه"[5].

ج- المعتدل: جاء في المصباح المنير: الوسط بالتحريك المعتدل يقال شيء وسط أي بين الجيِّد والرديء وعبد وسط وأمّة وسط وشيء أوسط وللمؤنث وسطى بمعناه، وفي التنزيل: ﴿ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ ﴾ [المائدة: 89]، أي: من وسط بمعنى المتوسط[6]. وضد الاعتدال الاعتداء ولهذا نهى القرآن الكريم عن الاعتداء فقال: ﴿وَلا تَعْتَدُوا﴾ [المائدة: 87]، وفسر ابن كثير الاعتداء المنهي عنه بتفسيرين؛ الأول: المبالغة في التضييق على النفس، والثاني: ضد الوسطية فقال في تفسيره: "ويحتمل أن يكون المراد: كما لا تحرموا الحلال فلا تعتدوا في تناول الحلال، بل خذوا منه بقَدْر كفايتكم وحاجتكم ولا تجاوزوا الحد فيه، كما قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا ﴾ [الأعراف: 31] الآية وقال: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: 67] فشرعُ الله عدل بين الغالي فيه والجافي عنه، لا إفراط ولا تفريط، ولهذا قال: ﴿لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: 87]"[7].

د. التوسط المكاني: ومنه قوله تعالى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ [سورة العاديات:5]، هذه الوسطية المكانية وهي في مقابل الوسطية السابقة والتي كانت بمعنى الوسطية الزمنية، ومعنى الآية "توسطن ذلك المكان كُلَّهن جُمع"[8].

المعنى الاصطلاحي:

خلص الصلابي في بحثه الوسطية في القرآن الكريم[9] إلى أن المفهوم الشرعي للوسطية يدور بين الخيرية والبنية حسية أو معنوية، وأغفل العدل والاعتدال كما أنه لم يضع حدودا تحده؛ فالمعنى الاصطلاحي إذن غير منحصرة في هذين المعنيين، والذي نميل إليه في تعريف الوسطية: هو كل معنى يجمع بين الخيرية والعدل والاعتدال، فنقول: الوسطية مصطلح يهدف منه فهم الدين فهما عدلا معتدلا خيرا من غير غلو ولا تطرف.

---

[4] جزء من حديث رواه الترمذي. الترمذي. محمد بن عيسى بن سورة (ت279هـ)، سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن الكريم عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة البقرة، حديث رقم: 2961.(الرياض: مكتبة المعارف، ط1، د.ت)، ص663. وقال الترمذي حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

[5] الزجاج. أبو إسحاق إبراهيم بن السَّرِي(ت311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، (بيروت: عالم الكتب،)، ج1، ص219.

[6] انظر: المقري، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (بيروت: مكتبة لبنان، 1987)، ، ص 252.

[7] ابن كثير. عماد الدين أبو الفداء إسماعيل(774هـ)، تفسير القرآن العظيم، (دمشق: مكتبة دار الفيحاء، ط1، 1414هـ-1994م)، ج2، ص122.

[8] بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص701. مرجع سابق.

[9] الصلابي، علي محمد، الوسطية في القرآن الكريم، (القاهرة: مؤسسة اقرأ، ط1، 1428هـ-2007م)، ص34.

المبحث الثاني: التأصيل الشرعي للوسطية

أولا: حجية الوسطية من القرآن الكريم

ورود مدلول الوسطية في القرآن الكريم في سياق المدح والإشادة بالفعل، الأم الذي يدل على مشروعيتها وحجيتها ومن ذلك:

الدليل الأول: وصف الأمة الإسلامية بالوسطية

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [سورة البقرة: 143]. وقد بين صفة الأمة الوسط الرسول ﷺ فوصفها بالعدل والخيرية والمكانة الرفيعة فقال مقارنا بين أمة الإسلام وغيرها من أمم الأنبياء السابقة: «يُدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته. فيشهدون أنه قد بلغ: وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا. فذلك قول الله جل ذكره ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: 143]. والوسطُ: العدل»[10]، والوسط المقصود من الآية هو التوسط في الدين وهذا تعليل ذهب إليه إمام المفسرين ودافع عنه فقال: "وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم "وسط"؛ لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلوّ فيه، غلوّ النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه. فوصفهم الله بذلك إذ كان أحبّ الأمور إلى الله أوسطها"[11].

الدليل الثاني: وصف الفرد بالوسطية

قال تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ ﴾ [سورة القلم: 28]. ومعنى أوسطهم كما سبق ذكره أمثلهم وأعدلهم وأعقلهم[12]، ووجه الشاهد أن الله سبحانه وتعالى وصف أعقل الإخوة وأفضلهم-وكان أصغرهم وهم أصحاب البستان- بلفظ الوسط فدل على أن مصطلح الوسطية ممدوح عند الله سبحانه وتعالى.

الدليل الثالث: وصف الصلاة المفضلة بالوسطية

قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [سورة البقرة: 238]. ووجه الشاهد أن الله كما وصف أفضل الإخوة بالوسطية كذلك وصف صلاة العصر بالوسطية لفضلها ومكانتها،

---

[10] البخاري، كتاب التفسير، سورة البقرة، باب ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: 143] رقم الحديث: 4487، ج3، ص193-194. قال قال محب الدين الخطيب تعليقا على هامش الحديث من الكتاب نفسه: كل حكم من أحكام الإسلام لم تقف عليه بالتحديد في أي مسألة من المسائل فاعتدل وتوسط، فإنك تقترب من الإسلام فيه لأنه دين وسط بين المغالي والمقصر.

[11] الطبري. أبو جعفر محمد بن جرير، تفسير الطبري جامع البيان (القاهرة: دار ابن الجوزي، ط1، 2008)، ج3، ص142.

[12] القرطبي. أبو عبد الله محمد بن أحمد(ت671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق سمير البخاري ، (الرياض: دار عالم الكتب، 1423 هـ- 2003 م)، ج 18، ص244.

جاء في تفسير روح البيان: "الصلاة الوسطى أي المتوسطة بينها على أن تكون الوسطى صفة مشبهة، أو الفضلى منها على أن تكون أفعل تفضيل تأنيث الأوسط وأوسط الشيء خيره وأعدله وهي صلاة العصر "[13].

الدليل الرابع: اختيار الطعام الوسط في الكفارة

قوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [سورة المائدة: 87]، ومعنى الوسط هنا: المنزلة بين منزلتين، والنصف بين طرفين، وهو الشيء الذي يكون بين شيئين[14]. ووجه الشاهد يمكن في تحديد الطعام بالوسط، فدل على أن الوسط بين الأشياء ممدوح عند الله.

الدليل الخامس: الترغيب في العمل الوسطي

وردت آيات قرآنية تمدح الفعل الوسطي سواء في العبادات أو غيرها، ومن ذلك:

1- الوسطية في الدعاء: وذلك في قوله تعالى:﴿ وَلا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا﴾ [سورة الإسراء: 110]، ووجه الشاهد أن الله أمر بالاعتدال وهو من معاني مصطلح الوسطية الشرعي، ونهى عن الغلو في الدعاء والغلو مناقض الوسطية من كل وجه، فحدد الله سبحانه وتعالى صيغة الدعاء بصفة جمعت بين فعل الاعتدال وترك الغلو، هذه الصفة للدعاء يجمعها مصطلح الوسطية، بهذا كانت الوسطية مشروعة وليست بدعا ولا تمويها في الدين.

ويقف الشعراوي على لفظة (بين) ليدلل على أن الوسطية مطلوبة في كل شيء فيقول: "البينية هذه تكاد تشيع في كل أحكام الدين؛ لأن القرآن جاء لأمة وسط بالأمور الوسط في كل شئون الحياة، ففي قمة المسائل وهي الأمور العَقَدية مثلاً يقف الإسلام موقفَ الوسطية بين مَنْ يُنكِرون وجود الإله ومن يقول بآلهة متعددة، فينفي هذه وهذه ويقول بوجود إله واحد أحد لا شريكَ له. وفي الإنفاق يختار الوسط، فيقول: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان:. 67][15].

2- الوسطية في الإنفاق: وذلك في قوله تعالى: ﴿يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [سورة الأعراف: 31]. وقوله تعالى: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء:29]. والشاهد من الآيات القرآنية الأمر بالإنفاق إنفاقا وسطا عدل يراعى فيه صاحب المال والمتصدق عليه، بحيث لا يطغى جانب عن جانب.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: 67] قال ابن جزي:"الاقتار هو التضييق في النفقة والشح، وضده الإسراف، فنهى عن الطرفين وأمر بالتوسط بينهما وهو

---

[13] انظر: البرسوي. إسماعيل حقي(ت1137هـ)، تفسير روح البيان، (استانبول: المطبعة العثمانية، 1330هـ-1928م)، ج1، ص372.

[14] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج6، ص276. مرجع سابق.

[15] الشعراوي. محمد متولي، تفسير الشعراوي، (القاهرة: أخبار اليوم، إدارة الكتب والمكتبات، د.ت)، ص8817.

القوام ، وذلك في الإنفاق في المباحات وفي الطاعات ، وأما الإنفاق في المعاصي فهو إسراف ، وإن قل"[16]. وقال البيضاوي: "وسطاً عدلاً سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما"[17]. وجاء في فيض القدير: "وقد أمر الله بالتوسط في الأمور فقال: (لم يسرفوا ولم يقتروا)"[18]. فقد رضي الله لعباده المتقين حينما وصفهم بالوسطية، ما يؤكد مرة أخرى على حجية هذا المصطلح وانه من شرع الله، وأن الوسطية من اختيار الله والله لا يختار إلا الخير.

3- الأمر بالاستقامة على نهج الله: وذلك في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: 112]، والاستقامة فسرت بأنها ضد الطغيان، وهو مجاوزة الحدود في كل شيء[19]، ووجه الشاهد أن الله أمر بالاستقامة على المنهج ونهى عن تجاوز الحد يمينا أو يسارا، والمحافظة على هذه المعادلة القرآنية تحقيقا للوسطية وقد مثّل الرازي في تفسيره معنى الاستقامة بالخط المستقيم الذي يفصل بين الظل والضوء، فالمحافظة عليه تقتدي عدم الدخول في الظل وعدم الدخل في الضوء، ويرى أن الاستقامة تدخل في جميع نواحي الحياة الإنسانية دين ودنيا -وإن كان يرى ذلك في غاية الصعوبة-: وأول الأمثلة التي ذكرها الاستقامة على معرفة الله فقال: "...فأولها: معرفة اللَّه تعالى وتحصيل هذه المعرفة على وجه يبقى العبد مصونا في طرف الإثبات عن التشبيه ، وفي طرف النفي عن التعطيل في غاية الصعوبة ، واعتبر سائر مقامات المعرفة من نفسك ، وأيضا فالقوة الغضبية والقوة الشهوانية حصل لكل واحدة منهما طرفا إفراط وتفريط وهما مذمومان ، والفاصل هو المتوسط بينهما بحيث لا يميل إلى أحد الجانبين"[20]. فعلى رأي الرازي أن الوسطية ممدوحة ومطلوبة شرعا لكنها تحتاج إلى مجاهدة النفس، ولكن تبقى الوسطية مطلوبة.

4- الوسطية في المشي: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾ [لقمان: 19]. والقصد في المشي المقصود التوسط فيها ووجه الشاهد هنا أمر لقمان ابنه بالوسط في سلوكه بحيث لا يخرجه عن القواعد العامة للأخلاق؛ قال الطبري في تفسير الآية: "وتواضع في مشيك إذا مشيت ، ولا تستكبر ، ولا تستعجل ، ولكن اتَّئِدْ"[21]. وقال ابن كثير: "امش مشيًا مقتصدا ليس بالبطيء المتثبط، ولا بالسريع المفرط، بل عدلا وسطًا بين

---

[16] ابن جُزي. محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي(ت741هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، (الشارقة: المنتدى الإسلامي، 1433هـ-2012م)، ص588.

[17] البيضاوي، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد(ت691هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، د.ت)، ج4، ص130.

[18] المناوي. عبد الرؤوف(1031هـ)، فيض القدير (بيروت: دار المعرفة، ط2، 1391هـ-1972م)، ج2، ص65.

[19] انظر: ابن قيم الجوزية . أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(ت751هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط2، 1393هـ-1973م)، ج2، ص104.

[20] الرازي. محمد الرازي فخر الدين (604هـ)، تفسير الرازي، (بيروت: دار الفكر، ط1، 1401هـ-1981م)، ج18، ص72

[21] الطبري. محمد بن جرير(ت310هـ)، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (القاهرة: هجر للطباعة والنشر، ط1، 1422هـ-2001م)، ج18، ص563.

بين"[22]. وقال الشوكاني: "توسط فيه ، والقصد ما بين الإسراع والبطء ، يقال: قصد فلان في مشيته: إذا مشى مستوياً لا يدبّ دبيب المتهاوتين ، ولا يثب وثوب الشياطين."[23]

5- الترغيب في أخذ الوسط وترك الطرفين: وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [القصص: 22].أي الطريق الوسط بين طريقين. ووجه الشاهد أن الله ألهم موسى عليه السلام في سلوك الطريق الوسط الآمن وهو متوجها إلى مدين؛ قال في البحر المحيط: "والظاهر أن (سواء السبيل): وسط الطريق الذي يسلكه إلى مكان مأمنه"[24]. وكذلك في قوله تعالى:﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: 67].

وهذا النص فيه إشارة إلى سلوك مسلك الوسطية المكانية، وفيه أيضا إضافة إلى الترغيب في سلوك الوسطية في العبادات والمعاملات والأخلاق ليتأكد أن الشرع يطلب الوسطية في حل جوانب الحياة.

ثانيا: حجية الوسطية من السنة النبوية

تضمنت سنة النبي ﷺ قولا وفعلا وتقريرا معاني الوسطية والترغيب في ولوج مسالكها ومن ذلك:

الدليل الأول: الوسطية في الإنفاق

عن عبد الله بن معاوية الغاضري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : «ثلاث من فعلهن فقد طَعِمَ طَعْمَ الإيمان: من عبدَ الله وحده وأنه لا إله إلا الله، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه رافدة عليه كل عام، ولا يعطي الهرمة، ولا الدرنة، ولا المريضة، ولا الشَّرَط اللئيمة، ولكن من وسط أموالكم، فإن الله لم يسألكم خيره، ولا يأمركم بشره»[25]. والشاهد أن الرسول ﷺ رغب صدقة الأنعام، وخص الوسط منها هو الأوفق للأمر الله سبحانه وتعالى بحيث لا يكون النوع الممتاز الرفيع والغالي السعر، ولا من الرديء الرخيص الثمن؛ جاء في عون المعبود: "فيه دليل على أنه ينبغي أن يخرج الزكاة من أوساط المال لا من شراره ولا من خياره"[26].

الدليل الثالث: الدين القيم هو الدين الوسط

عن عبد الله رضي الله عنه قال: خط النبي ﷺ خطًّا مربعًا، وخط خطًّا في الوسطخارجا منه، وخط خططًا صغارًا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط. وقال: «هذا الإنسان؛ وهذا أجله محيط به -أو قد أحاط به- وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه

---

[22] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص589. مرجع سابق.

[23] الشوكاني. محمد بن علي بن محمد(ت1250هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ج4، ص239.

[24] أبو حيان. محمد بن يوسف(745هـ)، تفسير البحر المحيط، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1413هـ-1993م)، ج7، ص107-108.

[25] أبو داود. سليمان بن الأشعث السجستاني(275هـ)، سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة، رقم الحديث: 1583. (الرياض: مكتبة المعارف، ط2، د.ت)، ص273-274.

[26] العظيم آبادي. أبو الطيب محمد (1329 هـ)، عون المعبود شرح سنن أبي داود، (المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ط2، 1388هـ-1968م)، ج4، ص465.

هذا نهشه هذا»[27]. ووجه الشاهد في النص النبوي (خط خطا وسطا) وهو يمثل الشريعة السمحاء ، ورسمُ الرسولِ ﷺ هذا الخط يدل على الاعتدال الذي هو حقيقة من حقائق الوسطية، فدل فعل الرسول ﷺ على مشروعية الوسطية.

الدليل الثالث: عبادة الرسول ﷺ ومعاملته دالة على الوسطية

روى عن أبي عبد الله جابر بن سَمُرة –رضي الله عنه– قال: كنت أصلي مع رسول الله ﷺ، فكانت صلاته قصدًا، وخطبته قصدًا[28]. وروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصومُ الدهر ولا أُفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[29]. والشاهد أن الرسول أنكر غلو الشباب، ورفض رفضا قاطعا ما عزم عليه الرهط الثلاثة من الغلو في العبادة وبين وجه الحق في ذلك، والغلو والإفراط مناقض الوسطية، فإنكار النبي ﷺ هذه الأفعال المفرطة والمغالية ليصحح المفهوم الخاطئ للدين عند هؤلاء الشباب، ويبين لهم أن الطريق الصحيح هو طريق الوسطية والذي هو الاعتدال.

الدليل الرابع: الترغيب في العمل الوسطي

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا»[30]. و عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذا الدين يسر ولن يُشادَّ الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا ويسروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدَّلجة»[31]، ووجه الشاهد أن الرسول ﷺ أم بالتيسير وبين مخاطر التشديد، والتيسير من معاني الوسطية؛ قال ابن رجب: "ومعنى الحديث: النهي عن التشديد في الدين بأن يحمل الإنسانُ نفسَه من العبادة مالا يحتمله إلا بكُلفة شديدة ، وهذا هو المراد بقوله ﷺ: «لن يشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه» يعني: أن الدينَ لا يُؤخذ بالمغالبةِ فمن شادّ الدينَ غلَبه وقطعه"[32] ونقل

---

[27] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله، رقم الحديث6417. ج4، ص176. مرجع سابق.

[28] مسلم. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري(ت261هـ)، صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم الحديث: 866، (الرياض: دار طيبة، ط1، 1427هـ-2006م)، ص385.

[29] البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم الحديث: 5063، ج3، ص354. مرجع سابق.

[30] البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم ، باب ما كان النبيﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، حديث رقم: 69. ج1، ص42. مرجع سابق.

[31] النسائي. أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب(ت303هـ)، سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، كتاب الإيمان، الدين يسر، رقم الحديث:5034، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط4، 1414هـ-1994م) ج8، ص122

[32] ابن رجب. زين الدين أبو الفرج ابن رجب(ت795هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (القاهرة: مكتبة الغرباء الأثرية، ط1، 1417هـ-1996م)، ج1، ص149.

السيوطي عن ابن التين قوله: "في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع، وليس المراد منه طلب الأكمل في العبادة فإنه من الأمور المحمودة، بل منع من الإفراط المؤدي إلى الملال، والمبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل أو إخراج الفرض عن وقته كمن بات يصلي الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح" [33]. واليسر والوسطية متلازمان فإن النفوس تجنح بطبعها إلى اليسر والوسطية، ولهذا جاءت بها الشريعة.

ثالثا: آراء الصحابة والسلف من بعدهم

1- آراء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين

لقد تضمنت أقوال الصحابة وأفعالهم رضوان لله عليهم ما يدل على مشروعية الوسطية، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعا الله أن يموت وسطيا وأوصى الأمة أن تكون وسطية فقال وهو في منى:"اللّٰهم كبرت سني، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط. ثم قدم المدينة فخطب الناس. فقال: أيها الناس. قد سُنت لكم السنن، وفُرضت لكم الفرائض، وتُركتم على الواضحة إلا أن تَضلُّوا بالناس يَمِينا وشمالا"[34]، فقد وضع عمر بن الخطاب رضي الله بقوله يمينا وشمالا منهجا وسطيا في التعامل مع شريعة الله.

ومن وسطية علي رضي الله عنه السياسية قبول المعارض والخارج عليه مادام لا يمس بالأمن القومي للبلاد، ولا يعمل على تفريق الناس والضرر بهم، فإن فعلوا ذلك خرجوا عن الوسطية فيجب ردهم إلى الصواب؛ فقال للخوارج الذين رفضوا أن يرجعوا إلى حكمه: "كونوا حيث شئتم وبيننا وبينكم أن لا تسفكوا دما حراما ولا تقطعوا سبيلا ولا تظلموا أحدا، فإن فعلتم نبذت إليكم الحرب. قال عبد الله بن شداد[35]: فوالله ما قتلهم حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدم الحرام"[36].

وقال رجلا لأبي الدرداء رضي الله عنه: إن إخوانك من أهل الكوفة من أهل الذكر، يقرؤونك السلام، فقال: وعليهم السلام، ومُرهم فليعطوا القرآن بخزائمهم، فإنه يحملهم على القصد والسهولة، ويُجَنِّبهم الجورَ والخُزُونةَ[37].قال عبد الرزاق: يعني اجعلوا القرآن مثل الخزام في أنف أحدكم، فاتبعوه واعملوا به[38]. وة

---

[33] النسائي، سنن النسائي، ج8، ص122. مرجع سابق.

[34] رواه الإمام مالك. مالك بن أنس(179هـ)، رواية يحيى بين الليثي الأندلسي(244هـ)، الموطأ، كتاب الرجم والحدود. ما جاء في الرجم ، رقم الحديث:2383، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1417هـ-1997م)، ج2، ص385.

[35] تابعي ولد في زمن الرسول ﷺ من تلاميذ علي رضي الله عنه

[36] ابن حجر. أحمد بن علي(852هـ)، فتح الباري بشرح صحيح الإمام عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، (القاهرة: المكتبة السلفية، د.ت)، ج12، ص296.

[37] الدارِمي. عبد الله بن عبد الرحمن(255هـ)، سنن الدرامي، كتاب الفضائل، باب فضل من قرأ القرآن، رقم الحديث: 3330، (كراتشي: قديمي كتب خانة)، ج2، 5د26.

[38] الصنعاني. أبو بكر عبد الرزاق بن همام(211هـ)، المصنف، باب تعليم القرآن وفضله، رقم الحديث:5996، (بيروت، المكتب الإسلامي، ط2، 1403هـ، 1983م)، ج3، ص368

وسطية أبي الدرداء تحقيقا للنصوص الآمرة بالتيسير.

وصف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وسطية الصحابة رضوان الله عليهم فقال: "من كان منكم مستنا فليستنَّ بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة، أبرَّها قلوبا، وأعمقها علما، وأقلَّها تكلفا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، ونقل دينه، فتشبّهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم كانوا على الهدى المستقيم"[39]. والشاهد من قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قوله: (وأقلّها تكلفا)، أي أبعدها غلوا وهو وصف دقيق للوسطية من الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

2- آراء السلف الصالح في الوسطية

وكما يفهم مشروعية الوسطية من الصحابة كذلك يفهم من السلف الصالح من بعدهم، فلم يغب فقه الوسطية عن علماء الإسلام فقد كان هذا الفقه منهجا وطريقا في سلوكهم وكتاباتهم على اختلاف مذاهبهم الفقهية، وتخصصاتهم العلمية وهذه بعض التطبيقات التاريخية نسوقها للتدليل على حجية فقه الوسطية.

ومن هذه الأقوال ما جاء في شرح السنة للبغوي: "قال مُطَرِّف لابنه عبد الله: العلم أفضل من العمل، والحسنة بين السيئتين، وخير الأمور أوساطُها،...فقوله: «والحسنة بين السيئتين» يريد أن الغلو في العمل سيئة، والتقصير سيئة، والحسنة القصد...وقال الحسن: إن دين الله وُضِع فوق التقصير ودون الغلو[40].

وأوصى أبو جعفر المنصور الإمام مالك رحمه الله بكتابة الموطأ مبينا له منهجا وسطيا في مقولة له هي: "يا أبا عبد الله: ضم هذا العلم ودون كتباً، وتجنب فيها شدائد عبد الله بن عمر، ورخص ابن عباس، وشواذ بن مسعود، واقصد أوسط الأمور، وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة"[41]. وكلام أبي جعفر يدل على سعة اطلاعه على نفوس الناس وما يمكن أن يتحملوه من كلام النبي ﷺ، فأعطى المنهج الذي يسير عليه الإمام مالك في كتابه الموطأ قائمة على أربعة أسس.

ويفسر الإمام الطبري الوسطية بأنها التوسط بين الإفراط والتفريط، ويرى أن الأمة الإسلامية وصفت بالوسطية لتوسّط المسلمين في الدِّين، فلا هم أهل غلوّ فيه، غلوّ النّصارى الذين غلوا بالتَّرهّب، وقولهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدَّلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربّهم، وكفروا به[42]. وقال بعض السَّلف: "ما أمر الله بأمر إلا وللشّيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط، وإمّا إلى مجاوزة، وهي الإفراط، ولا يبالي بأيّهما ظفر، زيادة أو نقصانًا"[43]. فالوسطية منهج ومسلك وطريق مغاير مسالك وطريق الشيطان، بل وتغضب الشيطان، وما زال الشيطان يسعى لإخراج الناس على جادة الوسطية

[39] البغوي. الحسين بن مسعود(516هـ)، شرح السنة، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط2، 1403هـ-1983م)، ج1، ص214.
[40] البغوي، شرح السنة، ج4، ص52. مرجع سابق.
[41] السبتي، القاضي عياض بن موسى بن عياض(544هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، (الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط2، 1403هـ-1983م)، ج2، ص73.
[42] انظر: الطبري، تفسير الطبري، ج2 ص 626-627. مرجع سابق.
[43] ابن القيم، مدارج السالكين، ج2، ص108. مرجع سابق.

إما مجاوزة شرع الله أو إلى مجاوزة ما حده الله.

وقال الإمام ابن تيمية: "دين الله وسط بين الغالي فيه، والجافي عنه. والله تعالى ما أمر عباده بأمر إلا اعترض الشيطان فيه بأمرين لا يبالي بأيهما ظفر: إما إفراط فيه وإما تفريط فيه[44].

وكان لابن تيمية رؤية وسطية في تناوله مسائل العقيدة فقال في معنى تحريم الله على نفسه والوارد في الحديث النبوي الشريف:" فإن الناس تنازعوا في معنى هذا الظلم تنازعا صاروا فيه بين طرفين متباعدين، ووسط بينهما، وخيار الأمور أوساطها."[45]

وقال ابن الإمام ابن القيم:"...وقد جعل الله هذه الأمة هي الأمة الوسط في جميع أبواب الدين، فإذا انحرف غيرها من الأمم إلى أحد الطرفين؛ كانت هي في الوسط[46].

وجمع الشاطبي بين فقه الوسطية وفقه الموازنات فقال: "الشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل، الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، الداخل تحت كسب العبد من غير مشقة عليه ولا انحلال، بل هو تكليف جارٍ على موازنة تقتضي في جميع المكلفين غاية الاعتدال، كتكاليف الصلاة، والصيام، والحج، والجهاد، والزكاة، وغير ذلك مما شرع ابتداء على غير سبب ظاهر اقتضى ذلك، أو لسبب يرجع إلى عدم العلم بطريق العمل"[47].

ويقول الإمام ابن العربي: " الوسط في اللغة: الخيار، وهو العدل. وقال بعضهم: هو من وسط الشيء. وليس للوسط الذي هو بمعنى ملتقى الطرفين ههنا دخول؛ لأن هذه الأمة آخر الأمم ؛ وإنما أراد به الخيار العدل، يدل عليه قوله تعالى بعده: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ فأنبأنا ربنا تعالى بما أنعم به علينا من تفضيله لنا باسم العدالة، وتوليته خطة الشهادة على جميع الخليقة، فجعلنا أولا مكانا، وإن كنا آخرا زمانا، كما قال النبي ﷺ: « نحن الآخرون السابقون»[48]"[49].

وإخراج ابن العربي المركزية من الوسطية لبين أنها ليس هي الوسطية بل هي جزء من الوسطية، لنفهم معلومة دقيقة ومهمة جدا وهي أن الوسطية ليست نقطة بل هي مجال ومساحة تتسع لك فيها الأوامر والنواهي لكن دون إفراط ولا تفريط ومنه نفهم لماذا يُؤمر من يصلي بالناس أن يخفف، وإن صلى وحده أن يطول ما دام

---

[44] ابن تيمية، فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، ج3، ص381. مرجع سابق.

[45] ابن تيمية. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ج18، ص137. مرجع سابق.

[46] ابن قيم الجوزية. أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(751هـ)، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ج2 ص 242.

[47] الشاطبي. أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي(790هـ)، الموافقات، (الخُبَر:دار ابن عفان، ط1، 1417هـ-1997م) ج2،ص 279.

[48] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب البول في الماء الدائم، حديث رقم: 238.ج1، ص95-96. مرجع سابق.

[49] ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله(543هـ)، أحكام القرآن، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، 2003م-1424هـ)، ج1، ص61.

يطيق ذلك.

المبحث الثالث : ضوابط الوسطية

وبعد بيان أن فقه الوسطية وفكرها ومناهجها من صميم هذا الدين، ومطلوب على عموم الأمة أن تفهم هذا الدين وتعمل به وفق رؤية وسطية، فإننا لا يمكن أن نطلق على كل فعل أو قول بأنه وفق الفقه الوسطي ما لم ينضبط بضوابط شرعية هي بمثابة معالم ومرتكزات الفكر الوسطي، وفي هذا المبحث بيان لضوابط الفقه الوسطي.

الضابط الأول: إقامة الأركان الكبرى

أول معلم في الفقه الوسطي هو المحافظة على الأركان الخمسة قولا وممارسة، بحيث لا يكفر من ترك عداها، ومن الفقه الوسطي أن هذه الخمسة ضامنة في أن تدخله الجنة كما في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله ، أو جلس في أرضه التي ولد فيها فقالوا يا رسول الله أفلا نبشر الناس إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة – أراه – فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة»[50].فالحديث نصٌ في أن تارك الجهاد لا يحرم من الجنة إن هو حافظ على هذه الأركان، ولكن درجته أقل من درجة المجاهد والشهيد في سبيل الله.

الضابط الثاني : الجمع بين الوحي والعقل

وهذا الضوابط مه أهم الضوابط في الفكر الوسطي، ونعني به أن لا نلغي العقل من عملية فهم الوحي، وفقه، ونفهم قيمة العقل من قوله صلى الله عليه وسلم: « فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه »[51] فلأول حمل الفقه والذي هو الوحي، والثاني فهم الوحي بعقله فهو أعمل العقل في فهم الوحي، وهذا فرق بين من يعمل العقل ليغير الوحي أو يلغيه ومن يعمل العقل لينزل الوحي الواقع وفق مراد الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ. والنصوص القرآنية الواردة في إعلاء من شأن العقل لا تخفى عن أي قارئ للقرآن الكريم.

الضابط الثالث: الموازنة بين الظاهر والباطن

يعتبر الظاهر مرآة الباطن في الغالب والموازنة بين الظاهر تقي صاحبها من النفاق، وتعمل على توازن شخصية متوازنة في شؤون دينها ودنياها وهذا هو الفكر الوسطي الذي نعني به، قال ابن عطاء السكندري في الحكمة العاشرة: "الأعمال صور قائمة، وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها" وقال ابن تيمية رحمه الله :وإذا

---

[50] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، رقم الحديث: 2790، ج2، ص303-304. مرجع سابق.

[51] جزء من حديث رواه الترمذي. سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ماجاء في الحث على تبليغ السماع، رقم الحديث" 2656. ص598. مرجع سابق. وصححه الألباني.

قام بالقلب التصديق به والمحبة له لزم ضرورة أن يتحرك البدن بموجب ذلك من الأقوال الظاهرة والأعمال الظاهرة؛ فما يظهر على البدن من الأقوال والأعمال هو موجب ما في القلب ولازمه ودليله ومعلوله؛ كما أن ما يقوم بالبدن من الأقوال والأعمال له أيضا تأثير فيما في القلب فكل منهما يؤثر في الآخر لكن القلب هو الأصل والبدن فرع له والفرع يستمد من أصله والأصل يثبت ويقوى بفرعه.[52]

وقال ابن القيم: الإيمان له ظاهر وباطن، وظاهره قول اللسان وعمل الجوارح وباطنه تصديق القلب وانقياده ومحبته فلا ينفع ظاهر له ظاهر لا باطن له وإن حقن به الدماء وعصم به المال والذرية، ولا بجزيء باطن لا ظاهر له[53] .

الضابط الرابع: الوقوف عند القطعي والاجتهاد في الظني

القطعي يقابل الظني، وهناك قطعي كامل وقطعي ناقص، فالقطعي الكامل هو القطعي الثبوت والدلالة فهذا إذا علم فلا اجتهاد معه وهو الذي يعبر عنه بقولهم "لا اجتهاد مع النص"، والثاني قطعي الناقص هو الذي يدخل الظن في أحد قسميه أو في كلاهما، وهذا الذي يدخله الاجتهاد وتختلف الأفهام فالفقه الوسطي أن يلتزم بالقطعي التام، ولا يضيق من مجال الاجتهاد في الظني، وأغلب ما تكون النصوص القطعية في العبادات، وأغلب ما يكون الظني في المعاملات، فمن الأول قوله ﷺ: «لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي أن لا أحجَّ بعد حجتي هذه»[54] ومن الثاني قوله ﷺ «أنتم أعلم بأمر دنياكم»[55] وهو المجال الكبير الواسع، يبدع فيه الناس على اختلاف أجناسهم وأزمنتهم، وبلدانهم، فالفقه الوسطي أن تقف أين أوقفك الشرع، وتبدع وتجتهد حيث ترك لك الشرع الاجتهاد والإبداع.

الضابط الخامس: مراعاة التيسير ومباعدة التعسير

بداية لا نقصد من هذا الضابط، أن يُفهم منه التمييع وتسهيل التكليف، ولا نقول بترك التشدد في موضع ينبغي أن يتشدد فيه، وإنما نقول بالتيسير الذي أمر به الله سبحانه وتعالى فقال: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185]، وقال الله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286] وقال أيضاً: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16]. وبالسنة الثابتة عن رسول الله ﷺ؛ فروى الإمام مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير، عن عائشة زوج النبي ﷺ ؛ أنها قالت: "ما خُيِّرَ رسول الله ﷺ في أمرين قط إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثْما. فإن كان إثْما، كان أبعدَ الناس منه. وما انتقَم رسول الله ﷺ لنفسه، إلا أن تُنتهك حرمةُ لله، فينتقم لله بِها"[56].

---

[52] ابن تيمية، مجموعة فتاوى ابن تيمية، ج7، ص541. مرجع سابق.

[53] ابن القيم. شمس الدين محمد بن أبي بكر، الفوائد، (القاهرة: دار الريان للتراث، ط1، 1407هـ-1987م)، ص 117.

[54] مسند الإمام أحمد بن حنبل، رقم الحديث:15041، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1417هـ-1997م)، ج23، ص286.

[55] جزء من حديث رواه مسلم، مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره -صلى الله عليه وسلم- من معايش الدنيا على سبيل الرأي، رقم الحديث: 6277.

[56] مالك، الموطأ. كتاب الجامع، ما جاء في حسن الخلق، ج2، ص486. مرجع سابق.

والضابط هنا في التيسير أن لا يوصل صاحبه إلى الإثم غير المشروع، ونؤكد هنا أن الوسطية تضبط بهذا المعنى أي :"أن المرء ينبغي له ترك ما عسر عليه من أمور الدنيا والآخرة، وترك الإلحاح فيه، إذا لم يضطر إليه، والميل إلى اليسر أبدا؛ فإن اليسر في الأمور كلها أحب إلى الله وإلى رسوله قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة:185] وفي معنى هذا الأخذ برخص الله تعالى، ورخص رسوله ﷺ، والأخذ برخص العلماء ما لم يكن القول خطأ بينا"[57]. وفعل التيسير يستلزم الابتعاد عن التشدد المفضي إلى الملل، واجتنبا الغلو المفضي إلى الهلاك في الدين والدنيا، ففي ترك التشدد قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس، خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل»[58]. ويقول الرسول ﷺ أيضا: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُون»[59]، قال النووي في رياض الصالحين: "المتنطعون: المتعمقون المشددون في غير موضِعِ التشديد"[60].

وأما في ترك الغلو فقال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس إياكم والغُلُوَّ في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»[61]، والوسطية يمتاز بها الثقات؛ قال الإمام سفيان الثوري: "إنما العلم الرخصة من ثقة، أما التشديد فيحسنه كل أحد"[62]. والمقصد من هذا الضابط أن الفكر الوسطي يجنح إلى التيسير وعدم التكليف، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بمجموع الناس لا آحادهم وبعامتهم لا علمائهم.

ومن صور التيسير في الفتوى مراعاة العرف، فالإفتاء بعرف الغير أو عرف قديم فيه حرج على المستفتي وعلى هذا درج فقهاء الملكية، فقالوا: "ولا تجمد على المنقول في الكتب طول عمرك، بل إذا جاءك رجل من غير إقليمك يستفتيك فلا تُجْرِه على عُرْف بلدك، وسَلْه عن عرف بلده فأجْرِه عليه وأفْتِه به، دون عرف بلدك والمذكور في كتبك، قالوا: فهذا هو الحق الواضح، والجمودُ على المنقولات أبدا ضلال في الدين وجهل بمقاصد علماء المسلمين والسلف الماضين. قالوا: وعلى هذه القاعدة تخرج أيمان الطلاق والعتاق وصيغ الصرائح والكنايات؛ فقد يصير الصريحُ كنايةً يفتقر إلى النية، وقد تصير الكناية صريحا تستغني عن النية"[63].

---

[57] ابن عبد البر. أبو عمر يوسف بن عبد الله(463هـ)،، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، (الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1400هـ-1980م)ج8، ص146.

[58] جزء من حديث رواه البخاري. البخاري، صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب الجلوس على الحصير ونحوه، رقم الحديث:5861. ج4، ص67. مرجع سابق.

[59] مسلم، صحيح مسلم، رقم الحديث: 2670. ص1232. مرجع سابق

[60] النووي. أبو زكريا يحيى بن شرف (676هـ)، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، (بيروت: دار ابن كثير، ط1، 1428هـ-2007م)، ص67.

[61] جزء من حديث رواه ابن ماجة: ابن ماجة. أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني(273هـ)، سنن ابن ماجة، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، رقم الحديث: 3029، (الرياض: مكتبة المعارف، ط1، د.ت)، ص511. وصححه الألباني.

[62] ابن عبد البر. أبو عمر يوسف(463هـ)، جامع بيان العلم وفضله، (القاهرة: دار ابن الجوزي، ط1، 1414هـ-1994م)، ص784. القرضاوي. يوسف، مدخل لمعرفة الإسلام ص 163.

[63] ابن قيم. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(751هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، (بيروت: الكتب العلمية،

ومن صور التيسير كذلك عند علماء المالكية العمل بقاعدة جريان العمل فقالوا: "وإذا جرى العمل ممن يقتدي به بمخالف المشهور لمصلحة وسبب فالواقع في كلامهم أنه يعمل بما جرى به العمل وإن كان مخالفًا للمشهور وهذا ظاهر إذا تحقق استمرار تلك المصلحة وذلك السبب وإلا فالواجب الرجوع إلى المشهور"[64].

والتيسر ليس على الإطلاق فمثلا قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: 81]، فاستدلال المنافقين بالحر هنا لم يعتبره الشارع؛ لأن ترك الجهاد بسبب شدة الحرة الموهوم ليس من التيسير؛ "لأن التخفيف هنا يتنافى مع مقصد من مقاصد الشارع، وهو سيادة الإسلام، ولن تكون سيادة مع الركون إلى الدعة والتخفيف والتيسير المطلق من كل قيود"[65]

والخلاصة نقرُّ ونقرِّر بأن التيسير سمة هذا الدين بل فضل من فضال هذا الدين وتركه مكروه؛ قال بهذا الإمام ابن عبر البر في كتابه التمهيد عند كلامه عن حديث السواك وهذا نصه ننقله كما قاله:

"وفي هذا الحديث أدل الدلائل على فضل السواك والرغبة فيه وفيه أيضا دليل على فضل التيسير في أمور الديانة وأن ما يشق منها مكروه"[66]

الضابط السادس: المحافظة على الوحدة واحترام الرأي الآخر

الأصل في هذه الأمة الوحدة؛ فوصفها العلي العظيم بالوحدة فقال: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 92]، والمقصد من الآية أن شريعة المسلمين واحدة، وأن ربهم واحد ورسولهم واحد فلا ينبغي التفرق في الدين[67]. وحذر الشرع من التفرق فقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153]؛ وهذه الآية من الآيات العظام حتى قال القرطبي: "هذه آية عظيمة عطفها على ما تقدَّم؛ فإنه لمَّا نهى وأمر حذَّر هنا عن اتباع غير سبيله، فأمر فيها باتِّباع طريقه"[68].

وقال أبو بكر جابر الجزائري: "هذه هي الآية الثالثة من آيات الوصايا العشر وقد تضمنت. الأمر بالتزام الإسلام عقائداً وعبادات وأحكاما وأخلاقا وآدابا، كما تضمنت النهي عن اتباع غيره من سائر الملل والنحل المعبر عنها بالسبل، وما دام الأمر بالتزام الإسلام بتضمن النهي عن ترك الإسلام فقد تضمنت الآية تحريما ألا وهو ترك الإسلام واتباع غيره هذا الذي حرم الله تعالى على عباده لا ما حرمه المشركون بأهوائهم وتزيين شركائهم"[69].

1417هـ-1996م)، ج3، ص66. مرجع سابق.

[64] الزرقاني. عبد الباقي بن يوسف بن أحمد(ت1099هـ)، شرح الزُّرقاني على مختصر خليل ، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422 هـ - 2002 م)، ج7، ص228.

[65] الشلي. نور، فقه التوسط مقاربة لتقعيد وضبط الوسطية، (الدوحة: وزارة الأوقاف، 1430هـ-2009م)، ص53.

[66] ابن عبد البر، التمهيد، ج7، ص199. مرجع سابق.

[67] انظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني(ت1393هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (الرياض: دار عالم الفوائد، ط1، 1426هـ)، ج4، ص861-862.

[68] القرطبي، تفسير القرطبي، ج7، ص137. مرجع سابق.

[69] الجزائري. أبو بكر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط3، 1418هـ-1997م)، ج2،

فتبقى حدود الأصول الكبرى المتفقه عليها هي الأصل، ونختلف في ما عداها من فروع، وهذا أمر واقعي ظهر منذ عصر النبوة وإلى يومنا هذا، فالأصل احترام الرأي الآخر ضمن الثوابت المتفق عليها، وعليه قعّد الإمام مالك هذه القاعدة عندما أراد أبو جعفر المنصور أن يفرض رأيا فقهيا واحدا على عموم كل البلاد الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها، فحذره الإمام مالك للآثار السيئة المترتبة على قرار الأمير، بسب اختلاف الصحابة رضي الله عنهم وتفرقهم في المدن[70].

وفعل الإمام مالك هذا يؤول إلى أمور تعود على الأمة بخير؛ منها الحفاظ على لحمة المسلمين، ومنها – ونرى أنها من الأهمية بمكان– تحقيق التواصل بين علماء الأمة، والذي إذا أثمر في داخل المجتمع المسلم يكون صداه في خارج المجتمع المسلم بالإيجاب. ونرى أن من أسباب إعاقة نشر الإسلام في الدول الغربية اليوم مع وجود العدد الكبير من الجاليات المسلمة هو ذلك الاختلاف الغير مبرر، ولقد اشتكى بعض المفكرين من ظاهرة التعصب للآراء الفقهية المنقولة من البلاد الإسلامية، الأمر الذي أعاق الدور الدعوي في بلاد الغرب.

والوسطية الحقة الحقيقية الفعلية هي التي يتصف صاحبها بصفة التسامح عند الاختلاف، وهي صفة النبي ﷺ، والسلف من بعده ولقد روي عن ابن تيمية قوله لمن سجنه أو كان سببا في سجنه: "إني قد أحللت السلطان الملك الناصر من حبسه إياي لكونه فعل ذلك مقلدا غيره معذورا ولم يفعله لحظ نفسه بل لما بلغه مما ظنه حقا من مبلغة والله يعلم انه بخلافه. وقد أحللت كل واحد مما كان بيني وبينه إلا من كان عدوا لله ورسوله"[71].

الضابط السابع: الإيمان بالإسلام الحق الأوحد ومسالمة الآخر

إن الإسلام هو الدين الصحيح الحق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: 19]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85]، ولكن في المقابل نتعامل مع الآخر تعاملا سلميا ما لم يعتدوا علينا، فالوسطية هي الجمع بين النصوص الآمرة بالقتال، والنصوص الآمرة بالمسالمة، كقوله تعالى: ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: 8] ، وقال: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ [الممتحنة: 4]، وقال إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿سَلامٌ عَلَيْكَ﴾ [مريم: 47] واستدل ابن عيينة بهذه الآيات على جواز إلقاء السلام على الكفار[72]. وينقل القرطبي عن السلف أنهم كانوا يسلمون على أهل الكتاب، ومن ذلك ما فعله ابن مسعود رضي الله عنه بدهقان صحبه في طريقه، قال له علقَمة: فقلت: يا أبا عبد الرحمن أليس يكره أن يبدءوا بالسلام؟!، قال: نعم؛ ولكن حق الصحبة. وكان أبو أمامة إذا انصرف إلى بيته لا يمر بمسلم ولا نصراني ولا صغير ولا كبير إلا سلم عليه؛ فقيل له في ذلك فقال: أمرنا أن نفشي السلام، وسئل الأوزاعي عن مسلم

ص142

[70] راجع: الذهبي. سير أعلام النبلاء، ج8، ص98. مرجع سابق.

[71] البزار. أبو حفص عمر بن علي، الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط3، 1400)، ص82.

[72] انظر القرطبي، تفسير القرطبي، ج11، ص111. مرجع سابق.

مر بكافر فسلم عليه، فقال: إن سلمت فقد سلم الصالحون قبلك، وإن تركت فقد ترك الصالحون قبلك[73]. وقد شرع الفقه الإسلام الصلح مع المحاربين، وأول صلح كان مع قريش، وسيستمر عقد الصلح مع المحاربين إلى آخر الزمن تحقيقا للحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن عوف بن مالك-رضي الله عنه- قال أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم فقال: «اعدُد ستا بين يدي الساعة: موتي ثم فتح بيت المقدس، ثم مُوتان يأخُذُ فيكم كقعاص الغَنم، ثم استفاضَة المال حتى يعطى الرجل مائَة دينار فيظلُّ ساخطا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا»[74].

وهذا هي وسطية حضارة المسلمين، وتحقيقا وتأكيدا بل واتباعا لوسطية الأمة الإسلامية الحضارية ذهب جمهور الفقهاء من مالكية وحنيفة وحنابلة إلى الرأي القائل بأن الأصل في قتال الكفار الاعتداء لا مجرد الكفر، أي أن الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم السلام مع الاحتفاظ بحق الرد على المعتدين[75]، فوسطية الحضارة الإسلامية هي أن نتعامل مع الآخرين تعاملا وسطيا أي: "التعامل الحر البريء من غير إضمار الشر أو محاولة التعدي أو الحمل على شيء معين، لذا كان الجهاد في الإسلام يراد به الدفاع عن حرمات الإسلام والمسلمين، ولا يقصد به حمل السيف بظلم ضد الآخرين، أو قتل الأنفس البريئة، أو ترويع الغير، أو إخافة الناس، أو إرهاب المجتمع، أو إجبارهم على الدخول في الإسلام، فذلك كله ليس من مفهوم الوسطية"[76].

هذه الحضارة الوسطية هي الحضارة الفاعلة[77]، تمارس الدور الريادي في الحضارات الأخرى، وتساهم في بناء الحاضر والمستقبل، وحين يدرك المسلم هذا المعنى ويرى الفرد الغربي الحقيقة ماثلة أمامه فإن الأمة تكون حينئذ في المسار الصحيح للاضطلاع بمسؤولياتها في نشر الإسلام، لأنه وقتئذ قد اندفعت عن الإسلام شبه المغرضين، وحيث أنه لا يزال المنال بعيدا، فإن الدور الأكبر اليوم في نشر الصورة الصحيحة الإسلام يأتي على عاتق العلماء ومؤسسات الدول المجاورة للدول الغربية وفي مقدمتها دول المغرب الإسلامي.

---

[73] انظر: القرطبي، تفسير القرطبي، ج11، ص 112. مرجع سابق.

[74] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب ما يُحذر من الغَدر، رقم الحديث: 3176،ج2، ص413-414. مرجع سابق.

[75] راجع: الزحيلي. وهبة، آثار الحرب في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة، (بيروت: دار الفكر، ط3، 1419هـ-1998م)، ص107 وما بعدها. المطعني. عبد العظيم إبراهيم محمد، سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية منهاجا وسيرة، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط1، 1414هـ-1993م)، ص162.

[76] الزحيلي. وهبة. الوسطية مطلباً شرعياً وحضارياً، (الكويت: المركز العالمي للوسطية، ط2، 1432هـ-2011م)، ص55.

[77] هذا المعنى أخذناه من أحمد الراوي في سياق بيانه لمقصود التكافؤ بين الأطراف الحضارية الفاعلة، فقال: "... يقصد بالتكافؤ بين الأطراف الحضارية الفاعلة: أن يسود الاعتقاد بأن كافة هذه الأطراف شريكة في الميراث الإنساني العام، وبوسعها أن تساهم بجدارة في صنع الحاضر والمستقبل، وأن يتم إدراك هذه الحقيقة والتعامل بمقتضاها دون إلغاء أو إقصاء أو تهميش." الراوي. أحمد، الوسطية والبعد الحضاري، ضمن بحوث وتعقيبات مؤتمر الوسطية منهج حياة 21-23 مايو2005م، 13-15 ربيع الآخر 1426هـ (الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ط1، 1426هـ-2005م)، ص81.

وما نقول في أثر الحضارة الوسطية في نشر الإسلام على الحضارات الأخرى ليس ضربا من الخيال بل قد وقع فعلا في تاريخ الإسلام من ذلك فتح المسلمين بلاد الشام، فلما عسكر أبو عبيدة رضي الله عنه في مدينة فحل بالأردن كتب إليه الأهالي من النصارى: "يا معشر المسلمين، أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأكف عن ظلنا وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا، وغلق أهل حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل، وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحب إليهم من ظلم الإغريق وتعسفهم"[78] والخلاصة، أن الوسطية تحقق المسالمة، فيتحقق التواصل، وعندما يكون التواصل، يتم الحوار، والحوار المثمر باب مفتوح للتعرف على حقيقة الإسلام.

الخاتمة

وفي الختام نقول إن الوسطية ليست وسطا بين اتجاهين أو موقفين وإن كان هذا المعنى يتضمنه مفهوم الوسطية، وليست تيسيرا كلها، وإن كان هذا من معانيها، بل هي مفهوما يشمل الوسط والعدل، والاعتدال والسماحة، والإنصاف، والتيسير، والخير للناس، وأن الوسطية بهذا المعنى هي التي جاء بها شرع الله من القرآن الكريم والسنة الشريفة وسار على دربها ومناراتها الأئمة والعلماء، والوسطية المشروعة لا تؤتي ثمارها إلا بضوابط تحكمها وتحدد معانيها وترسم إطارها، ويفهم مدلولها، لتكون بذلك وسطية صالحة للأمم كلها، شاملة لجميع حياة الناس عقيدة، وعبادة، ومعاملات، وكذلك شاملة لكل علاقات المجتمع، بل وعلاقة المسلم بالإنسانية كلها، هذا هو مفهوم الوسطية وهذا ما قصدت هذه الورقة أن تبينه وخلاصة ما وصل إليه الباحث يُسرد في النقاط التالية:

1- ضرورة العمل بالوسطية وتحريم كل أشكال الغلو والتطرف في الدين، وكراهية كل عسير يفضي إلى ترك العمل بهذا الدين أو يشوهه.

2- الوسطية ليس قيمة عابرة ولا بطاقة اعتذار بل هي قيمة شرعية نص عليها القرآن والسنة.

3- الوسطية مفهوم شرعي بدا مع بدأ الأنبياء، ورسخه وحي القرآن والسنة، وسار عليه أهل الإسلام من المغرب الإسلامي ومشرقه.

3- الامتياز التي حظيت به الأمة الإسلام عن بقية الأمم هو الأمة الوسط، فقد جعلها الله أمة وسطا لا لبس ولا اعوجاج.

4- إدراك الوسطية وتحقيق مدلولاتها في المجتمع يعني محاربة الغلو والتطرف والعنف.

5- تحقيق الوسطية إنما هو تحقيق الذات والحفاظ على الهوية، مع الاعتراف بالآخر دون إقصائه أو الذوبان فيه.

6-العمل والالتزام بأحكام الشريعة في جميع أنحاء الحياة يعني تحقيق الوسطية، وإن من أسباب البعد عن الوسطية يعود إلى الجهل بهذا الدين.

---

[78] أرنولد. سير توماس.و.، الدعوة الإسلامية بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة الدكتور حسن إبراهيم حسن وغيره، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1970م)، ص73.

7- تتم الوسطية بتحقيق الوحدة بين المسلمين، وذلك بالمحافظة على قيم الوسطية والتي هي الاعتدال والتسامح ونبذ العنف.

8- تفعيل الوسطية في المجتمع يعني تحقيق الأمة الخيرة العادلة النافعة لأمم والشاهدة عليها.

التوصيات

وهذه جملة من التوصيات يبتغي بها الباحث ترسيخ مفهوم الوسطية في المجتمع الإسلامي وهي:

1- أوصي أن يتمخض هذا الملتقى بإعلان الجزائر تحت عنوان نداء المشرق الإسلامي يدعى فيه الالتزام بالوسطية ثقافة وفكرا وسلوكا وممارسة التسامح والتخلق بالاعتدال، يقوم بتحضيره اللجنة العلمية للملتقى، ثم يوافق عليه المؤتمرون في الجلسة الأخيرة.

2- أوصي بجعل مداخلات المؤتمر حول الوسطية كسياسات لتوجيه الخطاب الإسلامي الراهن توجيها معتدلا وسطيا، وكمقدمة لمرجعية الوسطية في العالم الإسلامي، على أن تتلوها أبحاثا علمية أكاديمية من أجل الخروج برؤية موحدة واضحة ومتفق عليها، تضبط فيها المصطلحات الشرعية واللغوية ضبطا يتفق عليه أغلب الباحثين.

3- أوصي بإقامة مخبر دراسات الوسطية بجامعة الشهيد حمد لخضر بولاية الوادي، ثم تعمم الفكرة لباقي جامعات الوطن.

4- أوصي بضرورة تفعيل دور المؤسسات المهمة وهي الإذاعة والتلفزيون والمسجد، والمدرسة، في نشر ثقافة الوسطية من خلال إدخال برامج علمية وعملية، بغية ترشيد وتنشئة الأطفال تنشئة سالمة وسليمة.

5- أوصي بإعداد مجلة محكمة بجامعة الشهيد حمد لخضر بولاية الوادي باسم ثقافة الأمة الوسط، يشرف عليها أساتذة من تخصصات متنوعة.

6-أوصي بتوجيه طلبة الماستر والدكتوراه بالكتابة في موضوع الوسطية، ويفضل أن تكون ضمن مشروع الجامعة.

7-أوصي بإدراج الوسطية كمقرر أو كمباحث في المقررات العلوم الشرعية والعلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم القانونية والسياسية.

8-أوصي بعمل ورشات ودورات علمية يشرف عليها معهد العلوم الإسلامية بجامعة الشهيد حمد لخضر بولاية الوادي، وتكون موجهة لموظفي الإعلام وأساتذة التعليم، وأئمة المساجد، وطلبة الزوايا، ثم تعميم التجربة على بقية الولايات.

9-أوصي مخبر إسهامات علماء الجزاء في إثراء العلوم الإسلامية بعمل بنك معلومات الوسطية، يجمع كل ما كتب عن الوسطية، وما عمل من مؤتمرات، وكل الصوتيات والمرئيات المتعلقة بالوسطية ثم أرشفتها لتكون السبيل لوضع رؤية وسطية شرعية تخدم العالم الإسلامي.

والحمد لله رب العالمين.